

مع شخصيات الفكر والأدب (السيد الدكتور عادل الحسين الحلقة الثالثة

الأدب العربي في قلم عادل

كل عمل أدبي يقوم به المبدع له بداية، أو بدايات. ومن الطبيعي أن تكون هذه البدايات متواضعة. فمسير تلك البدايات واحد من ثلاثة. أولاً: إن قدر لهذا المبتدئ أن يصادف في حياته راعٍ يأخذ بيده ويشجعه، ويصقل موهبته، قطعاً سوف يتطور إبداعه. وثانياً: إذا قدر لهذا المبتدئ أن يطور نفسه بنفسه من خلال القراءة والكتابة المستمرة، حتمًا سوف يتحسن إبداعه وإن كان بأقل وتيرة من المبدع الأول. ثالثاً: وإذا قدر لهذا المبتدئ أنه لم يصادف داعماً أو لم يعمل ذاتياً على تطوير هذه الموهبة، سوف تموت تلك البدايات في مهدها.

وعادل من النوع الثاني الذي اكتشف نفسه بنفسه، كنت محبباً للغة العربية، قراءةً ونحوًا وأديبًا. نظمت الشعر، وكتبت القصة القصيرة، وكتبت في أدب السيرة والترجمة.

أولاً: الشعر:

مرت تجربتي الشعرية على أربع مراحل. المرحلة الأولى في الثانوية، والمرحلة الثانية في الجامعة، والمرحلة الثالثة في شبكة هجر، والمرحلة الرابعة بعد انضمامي إلى منتدى الينابيع الهجرية. حتى أكون صادقاً مع نفسي، في الحقيقة لا أعتبر نفسي شاعرًا، إنما أنا ناظم فقط.

المرحلة الأولى:

بداياتي الشعرية لم تكن شعرًا إنما هي كلمات مصفوفة ومنظومة في شطرين، ولها قافية واحدة أو عدة قوافٍ، يحكمها وزن إيقاعي، وتحكي موضوعًا واحدًا. بدأت أكتب هذا النوع من الفصفاة الوجدانية عندما كنت في المرحلة الثانوية. ولما رجعت إلى تلك البدايات بعد ٢٠ سنة وجدت فيها شيئًا من الشعر الموزون في بعض أبياتها، وبعضها على شكل أرجوزة. في هذه المرحلة لم أقرأ في الشعر لأحد غير ما قرأته ودرسته في المدرسة، وما قرأته في كتاب الفخري المنتخب للطريحي، وهو عبارة عن مجالس حسينية تحتوي على قصائد شعرية فصحة في رثاء أهل البيت عليهم السلام.

من البدايات الشعرية بعد تعديل بعض أبياتها لكي تكون على بحر واحد:

عَيْدِنَايَ جَرَّحَهَا السَّهَرُ

وَالْعَقْلُ عَالَمَهُ الْفِكْرُ

نَفْسِي تُوَسَّوِسُ لِي إِيَّايَ

مَا لَا أُحِبُّ وَلَا أُفِرُّ

عَقْلِي يُوجِّهُنِي إِيَّايَ

مَاذَا أُحِبُّ وَمَا أُذَرُّ

حُبِّي لَالٍ مُخَمَّدٍ

فَاقَ الْوُجُودَ وَمَا فَتَرُّ

رُحْمَاكَ رَبِّي مِنْ عَذَابٍ

خَالِدٍ غَدَّيَ الْخَطَرُ

لِلَّاهِ أَشْكُو لَا إِيَّايَ

نَاسٍ لَهُمْ نَزَلَ الْمَطَرُ

يَا خَالِقِي مَا الْفَسَادُ

الْأَرْضَ فَانزكسقف المقامر

حَتَّى مَتَّى يَتَنَزَّايَدُ

الْفِسْقُ الَّذِي حَكَمَ الْبِشْرُ

المرحلة الثانية:

وهذه المرحلة كانت خلال دراستي في الجامعة وبالتحديد لما كنت في مدينة جدة. في هذه المرحلة بدأت أقرأ دواوين الشعر للشعراء المشهورين مثل: المتنبي وأبو نواس والسيد حيدر الحلبي والسيد صفى الدين الحلبي والسيد الرضي وأبو فراس الحمداني والبحتري وأبو العتاهية وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم والشيخ الوائلي والشيخ الفضلي، وفي الشعر الشعبي قرأت الجمرات الودية لملا عطية الجمري والفائزيات للملا بن فايز.

وفي هذه المرحلة تعرفت على بحور الشعر وقد قرأت تلخيص العروض للشيخ الفضلي وهذا الكتاب يدرس في جامعة أوسلو في مدينة أوسلو بالنرويج في عام ١٩٨٠م لما كان الدكتور إينار البرج مديراً لقسم اللغة العربية في جامعة أوسلو، وكان في وقتها الدكتور عبد الهادي كان رئيساً لقسم اللغة العربية في كلية الآداب في جامعة الملك عبدالعزيز بجدة.

في هذه المرحلة بدأت أنظم الشعر عن علم ببهور الشعر وأوزانه. ومن النصوص التي نظمتها في تلك الفترة أنشودة في الإمام المهدي عليه السلام وقد عرضتها حينها على الشيخ الفضلي حتى يبدي رأيه: فقال لي أحسنت وأجدت، فقط هذا البيت يحتاج إلى ضبط وزنه. وهذا هو النص الذي أعنيه:

إِنَّ لِلْعَصْرِ إِمَامًا يُؤْتَمَنُ

لِخَلَاصٍ مِنْ هَوَانٍ وَفِتْنٍ

فَهُوَ نُورٌ بِسَعَى بَيْدِنَانَا

جَاءَ بِالْحَقِّ لِكَيْ تَحْيَى السُّنَنُ

خَيْرٌ جَاءَ عَنِ الْمُخْتَارِ كَمُ

يَمَّ لَأُ الْأَرْضَ سَلَامًا وَمِنَنُ

وَكَتَابُ فِيهِ جَاءَكُمْ

يُظْهِرُ الدِّينَ وَيُنْجِي مَنَ وَثَنَ

لَوْ بَقِيَ فِي الدِّهْرِ يَوْمٌ وَاحِدٌ

طَالَ ذَاكَ الْيَوْمُ يَا زَجَلِ الْحَسَنُ

يَا إِمَامَ الْعَصْرِ يَا زُورَ الْهُدَى

أَنْتَ لِلنَّاسِ نَجَاةٌ مَنَ مَحَنُ

ارْقَبْهُ كَمَا تَقُوزُوا بِالْعُلا

فِي جَنَانِ الْخُلْدِ عِنْدَ الْوُؤُ تَمَنُ

كُلُّ مَنَ كَانَ يُحِبُّ ابْنَ الْحَسَنِ

يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنَ غَيْرَ حَزَنُ

المرحلة الثالثة:

وهذه المرحلة كانت في شبكة هجر الثقافية عندما كانت المنتديات الثقافية هي شبكات التواصل الاجتماعي في العالم. وفي الواحة الأدبية نشرت بعض ما كتبه من شعر واستفدت كثيرًا من نقد بعض الأعضاء وتصويباتهم واقتراحاتهم فيما يخص الألفاظ وبحور الشعر. وفي هجر تعرفت على كثير من الشعراء منهم الأستاذ الشاعر ناجي الحرز والمهندس الشاعر جاسم الصحيح والأستاذ الشاعر زكي السالم والأستاذ الشاعر علي الممتن وغيرهم من الشعراء العرب والخليجيين.

تعتبر هذه المرحلة هي المرحلة الذهبية في نتاجي الشعري. حيث أصبحت لصيقاً بالشعر والشعراء من خلال منتدى الينابيع الهجرية. سمعت وقرأت كثيراً عن منتدى الينابيع الهجرية وعن نشاطه وقصة نجاحه وشهرته في الأوساط الأدبية. وقد التحقت بعضوية منتدى الينابيع الهجرية قبل إحدى عشر سنة تقريباً بدعوة كريمة من الأستاذ ناجي الحرز عندما كنا نلتقي في صبيحة كل يوم جمعة في جمعية شيخ المؤرخين المؤرخ الكبير الحاج جواد بن حسين الرمضان رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه فسيح جناته مع محمد وآله الأخيار. فقبلت الدعوة وصرت أخصر في اللقاء الأسبوعي للمنتدى كلما ساحت الفرصة إلى ذلك إذا كنت متواجداً في الأحساء، حسب ظروف عملي حيث كنت أعمل في الرياض.

وقد حظيت بتشجيع كبير من قبل الأستاذ ناجي في كتابة الشعر وإنشاده. وقد طلب مني ذات مرة في المشاركة بقصيدة في احتفال مولد الإمام الرضا عليه السلام في بلدة القارة إحدى قرى الأحساء. ولم يكن لدي حينها قصيدة جاهزة فاعتذرت منه لضيق الوقت، ولكن الأستاذ ناجي أصر على مشاركتي، وفعلاً كتبت قصيدة وأعطيته إياها ليراجعها فأثنى عليها وقدمتها في الحفل بتاريخ 11 ذو القعدة 1438هـ.

كما طلب مني الأستاذ ناجي بصفته رئيس منتدى الينابيع الهجرية المشاركة في حفل تأبين شيخ المؤرخين الحاج جواد بن حسين الرمضان رحمه الله في ليلة أربعينه في مجلس القطان بالهفوف بتاريخ 28 ذو الحجة 1439هـ، كعريف للحفل بمعية الشاعر الأستاذ جاسم عساكر. حيث كان منتدى الينابيع الهجرية الراعي والمنظم لمهرجان تأبين شيخ المؤرخين جواد الرمضان رحمه الله.

بعض نماذج شعر هذه المرحلة:

عطر المصطفى

وَجَنَيْنُ الصِّدْرِ نَبِيًّا بِشَرِّا

وَبِمِيزَانِ الْهُدَى قَدَّ أَحْخِيرَا

وَلَدَتْ أَمِنَةً ابْنًا غَدَا

سَيِّدًا يَسْمُو إِلَي مَن صَوَّرَا

وَلَهُ الْأَمَّلاكُ كُنَّابُ لِمَا

رُدِّدَت مِّنْ صَلَوَاتٍ لِّلأَوْرَى

عَطَّرَ اللّهُ بِعِطْرِ الْمُطَفَى

كُلِّ رُكْنٍ مِّنْ بَسَاتِينِ القُرَى

جِئْتُ مَسْرُورًا إِلَيْهِ وَالرَّهًا

لِعِطِّمِ كَانِ أَعْلَى مَن سَرَى

حُبُّهُ يَسْمُو بِرُوحِي عَالِيًا

هَكَذَا قَلْبِي عَشَقًا عِبْرًا

حُبُّهُ تَوْحِيدُ كُلِّ الْمُؤْمِنِينَ-

لِبَارِيهِمْ بِهِ زَانِ الذُّرَى

قُبَّةٌ نَّوْرَاءُ مَازَالَتِ عَلَى

وَهَجَّهَا تَهْدِي إِلَي مَن أَظْهَرَ

وَلَهُ الْأَكْوَانُ دَانَتِ بِالنُّبُوَّةِ-

عِلْمًا بَلَّ بِقَيْنًا مُبْهِرًا

مُهْجَتِي قَدَّ مَرَضَتْ يَا سَيِّدِي

فَأَشْفِهَهَا حَتَّى تُنْجِي الأَكْبِرَا

ذِكْرُهُ المَحْبُوبُ يَجْلِي الهُمُومَ -

وَيَشْفِي النَّفْسَ مِمَّا كَدَّرَا

هُوَ عِشْقِي وَهَيَامِي، حُبُّهُ

نَبِيضَةٌ تَشْفِي فُؤَادِي الأَخْضَرَا

وَصَلَاتِي وَسَلَامِي لَيْلَ ذِي

تَمَمَ الأَخْذَاقَ نَهْجًا طَوَّارَا

كُلَّ مَمَّا قُلَّتْ سَلَامًا لَيْلَهُ دَى

جَاوَبَ البَدْرُ سَلَامًا لَيْلِ وَرَى

بهاء الحسين

وُلِدَ الحُسَيْنُ فَشَعَّ ضَوْءُ سَنَاهُ

مَلَأَ الدُّنْيَا نُورًا فَمَا أَبْهَاهُ

قَدَّ شَعَّ مِنْ وَجْهِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

نُورُهُ أَسْرَرَهُ بِتُورِهِ بِبَيْتِهِ هَاهُ

وَأَسْرَرٌ حَيْدَرَةٌ الْوَصِيَّ بِبِنُورِهِ

وَأَسْرَرٌ أَهْلَ الْكَوْنِ مَنْ وَالَاهُ

إِنَّ الْحُسَيْنَ إِمَامٌ حَقٌّ لِلأَوْرَى

حَيْثُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ وَالَاهُ

تَهْفُؤُ الْفُلُوبُ إِلَى دِيَارِ حَفِيدِهِ

عِنْدَ الْحُسَيْنِ وَصَحْبِهِ مَسْرَاهُ

قَدْ سَابَّحَتْ أَرْوَاحُنَا فِي كَفِّهِ

عِشْقًا يَدُومُ عَلَيَّ الْوَمَدَى إِيَّاهُ

عُذْرًا أَبَا الشُّهُدَاءِ إِنَّ لَمْ نَحْتَفِرْ

بِالْمَوْلِدِ الْوَمَيْمُونَ فِي سِدْرَاهُ

فَيَرْوِسُ كُورُونََا بِحِقْدِ أْبَعْدِ

الْأَحْبَابِ عَنَّا حَفْلِ الْهُدَى وَسَنَاهُ

فَرْوَاةٌ حَفْلِ عَابِقِ بِجَمَالِهِ

لَمْ يَنْتُنُّوا عَنَّا حَفْلِهِ وَنَدَاهُ

وَلَقَدْ رَوَى أَحْبَابُهُ خَيْرَ الْوَالِدَةِ

فِي مَحَافِرِ فِئْتَانِ عَدُوِّهِ لِيَتَرَاهُ

فِي حَائِرِ الشُّهُدَاءِ نَالُوا بِلَاسَمًا

مِنْ فَيْضِ نُورِ شَهِيدِهِمْ وَإِبْرَاهِيمَ

قَلْبِي سَفِينُ هَائِمٌ فِي بَحْرِهِ

فَهُوَ النَّجَاةُ عَدَا كَمَا نَسَّعَاهُ

اللَّهُ لَمَّا اخْتَارَهُ لِحَنَانِهِ

بِشَهَادَةِ كُبْرَى فَقَدَ أَعْطَاهُ

أَكْرَمَ بِتَضْحِيَةِ الْحُسَيْنِ وَصَحْبِهِ

يَوْمَ الطُّغْيَانِ كَمَا دَعَا مَوْلَاهُ

قَدَّ صَاغَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ إِسْآنِهِ

فَاسْتَنْهَضَ الْأَصْحَابَ فِي مَرَسَاهُ

إِنَّ الشُّهُدَاءَ هُوَ الْوَرِيثُ لِحَدِّهِ

فِي حِفْظِ دِينِ اللَّهِ فِي دُنْيَاهُ

الْقَلْبُ يَسْمُو عَالِيًّا بِتَعَاهُدِ

الْعَرْشِ سَقِ الْحُسَيْنِيِّ السَّذِي يَرْضَاهُ

إِنَّ الْوُجُودَ جَمَالُهُ بِمُحَمَّـدٍ

وَكَمَالُهُ بِحَيَاةِ مَن نَهَوَاهُ

هَذَا السَّذِيَّ عَمَّ الْوُجُودَ بِنُورِهِ

وَسَانِنَائِهِ، وَفِدَاؤُهُ أَيْكَاهُ

هَذَا السَّذِيَّ تُرْجَى شَفَاعَتُهُ غَدًا

وَلَقَدْ نَجَّاهُ مَن يَهْتَدِي بِهِدَايَهُ

مَاذَا أَقُولُ إِذَا الْإِلَهِ اخْتَارَهُ

لِيَكُونَ مَن أَهْلَ الْكَسَاءِ عُلَاهُ

وَمُحَمَّـدٍ أَوْ صَاحِبِ رَعِيَّتِهِ بِهِم

فِي حُبِّهِمْ وَوَلَائِهِمْ لِخِيَايَاهُ

هَذَا الْخُـسَيْنُ مِنَ الرَّؤُوفِ وَعَاطِفِهِ

أَلَطَافُهُ عَمَّتْ فَصَّاءَ سَمَاهُ

يَا رَبِّ صَلِّ عَلَيِ الْخُـسَيْنِ وَجَدِّهِ

فَالْكَوْنُ ضَاحٍ بِرِعْشِ قَبْرِهِ وَهَوَاهُ

وَالْوَحْيُ بِالْأَلَطَافِ قَدَّ عَمَّ الْوَرَى

وَبِلَا طُفْرِهِ جِيدٌ رِيْلٌ زَادَ غَا—لَاهُ

أَوْ حَى لَهْ الدِّيَارِي أَنْ أُوْقْدِمَ هَا هُنَا

فِي حَضْرَةِ الْمُعْتَبِرِ مَن تَهْوَاهُ

وَاقْرَأْ كِتَابَ مُحَمَّدٍ فِي عَرَشِهِ

إِنَّ الْمَرَاتِبَ سُلَّمٌ تَرْقَاهُ

عيد غير الأعياد

يَا عَيْدُ كَمْ لَكَ مِنْ شِغَافٍ فِي الْقُلُوبِ

هَلْ يَا تُرَى سَتَكُونُ فِي وَهَجٍ مُهَيَّبِ

أَوْ أَنْ— كُورُونًا تَمَوْضِعَ فَتَكُهُ

فَتَغَيَّرَ الْحَالُ السَّذِي كُنْصًا زُهَيْبِ

فَغَدَا جَمَالُ الْعَيْدِ مَرَّ هُونًا بِهِ

أَعْنِي مَتَى مَازَالَ عَنَّا قَدَّ يَطِيْبِ

قَدَّ أَصْبَحَ الْأَحْيَابُ فِي غُرْفٍ بِرَلَا

سَقْفٍ وَرَلَا بَابٍ وَرَلَا حَلَاوَى الزَّوْبِ بَرِيْبِ

الْكُلُّ مَشْبُوكٌ بِشَرِّ نَفَقَةِ التَّوَاصلِ -

فِي بَرَامِجَ بَعَضُهَا فِيهَا لُغُوبٌ

فِي طِلِّ هَذَا الْوَصْفِ مِنْ أَيْسَامِنَا

وَالْكُلُّ فِي حَطْرِ عَنِ الْعَيْدِ النَّجِيبِ

وَتَيَادُلُ النَّعْيِيدِ أَمْسَى قَاصِرًا

فِي حَدِّهِ الْخَدِّ السَّذِي يُؤْذِي الْقُلُوبِ

عَيْدٌ بَلَا فَرَحٍ وَلَا حَفْلٍ بِهِ يَجِ

يُسْعِدُ الْأَطْفَالَ فِي وَقْتِ صَعْيَبِ

طِفْلٌ صَغِيرٌ قَدْ أَتَى فِي يَوْمِهِ

الْمَشْهُودِ فِي شَعْفِ بَغَى مِلَاءِ الْجُيُوبِ

لَكِنَّهُ قَدْ شَاهَدَ الْمَيْدَانَ خَالِ

مِنْ قَرِيبٍ أَوْ غَرِيبٍ فِي الدُّرُوبِ

فَعَدَّتْ عَيَايِيدُ الْأَحْيَا فِي الْوَرَى

مَحْبُوسَةً حَتَّى يُشِيدَ بِهَا الطَّبِيبِ

يَا رَبِّ تَمِّمْ فَضْلَكَ الصَّافِي عَالِي

الْأَحْبَابِ وَالْأَمْحَابِ فِي عَيْشِ رَطِيبِ

يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ

وَبِفَضْلِهَا خَلِّصْ بِلَادَكَ مِنْ خُطُوبٍ

وَأَرْحَمِ عِبَادًا لَمْ يَزَالُوا فِي الْمَشَافِي-

خَاضِعِينَ لِسَطْوَةِ الْجِرْمِ الْغَرِيبِ

الدواوين:

صنفت ما نظمته من شعر فيما مضى من أيامي إلى ثلاث مجموعات وتشمل كل مجموعة ديوانا مستقلا بذاته، وهذه الدواوين الثلاثة مازالت مخطوطة، وهي:

1- ولاء: ويحتوي على قصائد في مدح ورتاء أهل البيت عليهم السلام.

2- مشاعر: ويحتوي على أغراض شعرية متنوعة، تعبيرًا عما يجول في خاطري من مشاعر وخلجات وأحاسيس تجاه الأشخاص والأماكن والأحداث، وهي مزيج من الفرح والترح.

3- ترانيم: ويحتوي على حكم ومواعظ في قالب شعري.

ثانيا: القصة القصيرة:

القصص التي كتبتها يغلب عليها جميعًا الطابع الاجتماعي في قالب أدبي. فلا تخلو قصة من معالجة لموقف اجتماعي او مشكلة اجتماعية. قد يعترض البعض على هذا النمط من القصص. ولكنني أختلف معهم في ذلك لأن الأدب القصصي يحمل في طياته رسالة سامية لتثقيف المجتمع، وذلك بتسليط الضوء على المشاكل الاجتماعية ومعالجتها بأسلوب قصصي شيق.

أول قصة كتبتها في عام 1996م، لما كنت في ولاية ميزوري بأمريكا خلال دراستي للماجستير. وكانت بعنوان "صفقة تجارية" وقد نشرت في صحيفة الهداية التي تصدر في أتلانتا، جورجيا.

وواصلت كتابة القصة القصيرة في شبكة هجر الثقافية، التي استفدت كثيرًا من نقد أدبائها وتوصياتهم واقتراحاتهم التي كان لها الأثر الكبير في تطوير كتاباتي القصصية. وقد طبعت ثلاث مجموعات قصصية، ومعظمها نشرت من قبل في شبكة هجر الثقافية، وهي:

1- صور من عالمها، مجموعة قصصية، 2017م، القطيف: أطراف للنشر والتوزيع.

2- لحظة فراغ، مجموعة قصصية، 2015م، الرياض: دار المفردات للنشر والتوزيع.

3- همسة حب، مجموعة قصصية 2009م، الرياض: دار المفردات للنشر والتوزيع.

وكتبت أيضا رواية مازالت مخطوطة، حبيسة الحاسب الآلي. وهي بعنوان (لست مزواجا).

ثالثا: أدب السيرة والترجمة:

تعجبني كثيرا قراء السير والتراجم للشخصيات الذين لهم دور كبير في بناء المجتمع والنهوض به علميا وفكريا وثقافيا واقتصاديا. فهؤلاء الشخصيات يعتبرون قدوة لجيلهم وللأجيال القادمة. لذلك اهتمامي في أدب السيرة والترجمة منطلق من هذه القيمة التربوية في إبراز كل ما هو جميل في شخصية المترجم له ليكون نبراسًا وملهمًا للأجيال الآتية. لهذا كتبت عن شخصيات عاصرتهم وعاشتهم وعرفتهم عن قرب. ووجدت فيهم جوانب تربوية إيجابية متعددة لذا ارتأيت إبرازها والكتابة عنها لكي يتعرف المجتمع المحتضن لهم والمجتمعات المحيطة بهم والمجتمعات المستقبلية على نتاج هؤلاء الشخصيات محل الدراسة والبحث.

وأول شخصية ملهمة كتبت عنها في كتاب مستقل هي شخصية العلامة الدكتور الفضلي رضوان □□ تعالى عليه. وثاني شخصية هي شخصية الدكتور صادق العمران رحمه □□ تعالى. وثالث شخصية هي شخصية شيخ المؤرخين الحاج جواد بن حسين الرمضان رحمه □□ تعالى. وكتبت عن عدة شخصيات مرموقة في المجتمع في مقالات متعددة وجمعتها في كتاب مازال مخطوطًا.

والعناوين التي ألفتها وصنفتها في أدب السير والتراجم، هي:

- 1- مداد العارفين بشيخ المؤرخين: الحاج جواد بن حسين الرمضان، ط1، 2018م، القطيف: أطياف للنشر والتوزيع.
- 2- الطبيب الإنسان صادق العمران، ط1، 2018م، القطيف: أطياف للنشر والتوزيع.
- 3- العلامة الفضلي ومنهجه الرسالي، ط2، 2017م، القطيف: أطياف للنشر والتوزيع.
- 4- عرفتهم عن قرب، مخطوط.